

مراعاة مقتضى الحال بالتوفيق بين العقل والنقل
في ضوء العقيدة الإسلامية

بحث مقدم إلى المؤتمر العلمي الدولي الخامس
(مراعاة المقام وأبعاده التداولية في الفكر العربي والإسلامي)

المنعقد في ١٨ مارس ٢٠٢٣ م

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية
جامعة الأزهر

✍ إعداد الدكتور

مبارك فيصل مبارك الغريب

درجة الدكتوراه، قسم أصول الدين ومقارنة الأديان

كلية معارف الوحي والتراث الإسلامي

الجامعة الإسلامية العالمية الماليزية

إمام في وزارة الأوقاف ومعلم في وزارة التربية في دولة الكويت

مراجعة مقتضى أكمال بالتوفيق بين العقل والنقل؛ في ضوء العقيدة الإسلاميّة

المؤتمر العلمي الدولي الخامس لكلية الدراسات الإسلاميّة والعربيّة للبنات بالإسكندريّة

مراعاة مقتضى الحال بالتوفيق بين العقل والنقل؛ في ضوء العقيدة الإسلامية

مبارك فيصل مبارك الغريب

قسم أصول الدين ومقارنة الأديان، كلية معارف الوحي والتراث الإسلامي،
الجامعة الإسلامية العالمية الماليزية

البريد الإلكتروني: Mubarakalghareeb86@gmail.com

الملخص :

يعرف مراعاة مقتضى الحال بأنه "الاعتبار المناسب المستدعي للسمات والخصائص التي يأتي عليها أسلوب المتكلم ليوافق حديثه المقام أو الحال الذي أنشأ له كلامه".

وما زال المسلمون يراعون فقه مقتضى الحال في مختلف أبواب الدين؛ ضمن أطر معيَّنة واعتبارات محددة على النحو التالي بيانه:

- مستوى التدين. - نوع الديانة. - البيئة. - المنزلة. - الجنس والعمر.
- الصفات السلوكية. - عدد المخاطبين.

حتى ما يخص الأطفال كما جاءت السنة النبوية واضحة في ذلك:

- في تصغير كلمة عمير وتغيير. - في الإيجاز في التركيب ووضوح الألفاظ.

ومن ضمن مجموع مقتضيات الأحوال ومراعاتها فيما ورد من نصوص شرعية ما يخص الاعتقاد؛ على حد قوله علي رضي الله عنه "حَدَّثُوا النَّاسَ، بِمَا يَعْرِفُونَ أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَدَّبَ، اللَّهُ وَرَسُولُهُ". ولا جرم أن ما في كتاب الله جلَّ وسنة النبي عليه وسلم ما يرشد إلى ذلك المعنى الأصيل وهو ما سيبينه الباحث على مبحثين، فالمبحث الأول في مفهوم مراعاة مقتضى الحال في اللغة والاصطلاح؛ والمبحث الثاني: في توافق نصوص الوحيين مع العقل الصحيح ومراعاتها لمقتضى الحال. لذا جاء هذا البحث ليسد ثغرة من تلكم الثغرات، وهي أن "الشرع لا يأتي بما تحيله العقول، ولكنه يأتي بما تحار فيه العقول، وأن الرُّسل لا يُخبرون بمحالات العقول، بل بمُحارات العقول، فلا يُخبرون بما يَعْلَمُ العقل انتقاءه، بل يُخبرون بما يَعجزُ العقلُ عن معرفته"، ثم حقائق لا بد منها فالخاتمة، سائلاً المولى تعالى العون والسداد، والهداية إلى صائب القول والرشاد.

الكلمات المفتاحية: مراعاة مقتضى الحال، التوفيق، العقل، النقل، العقيدة.

Considering the Case by Reconciling Reason and Divine Rules in Light of the Islamic Faith

Mubarak Faisal Mubarak Al-Gharib

Department of Fundamentals of Religion and Comparative Religions, Faculty of Knowledge of Revelation and Islamic Heritage, International Islamic University Malaysia

E-mail: Mubarakalghareeb86@gmail.com

ABSTRACT:

The case is defined as “the appropriate consideration required for the features and characteristics that the speaker’s style comes upon in order to agree with his standing speech or the situation for which he established his speech”.

Muslims still respect the jurisprudence of the situation in various aspects of religion. Within specific frameworks and considerations, as follows:

–The level of religiosity. –Religion type. –The environment.
–Status. –Gender and age. –Behavioral traits. –The number of addressees.

Even with regard to children, as the Sunnah of the Prophet was clear in that:

–Reducing the word Omair and Nogair.
–In brevity in composition and clarity of words.

And among the total requirements of the conditions and their observance of what was mentioned in the legal texts is what is related to belief; As Ali, may God be pleased with him, said, "Tell people what they know. Do you like God and His Messenger to be denied"؟

It is undeniable that what is in the Book of God, His Majesty, and the Sunnah of the Prophet, may God's prayers and peace be upon him, is what guides to that original meaning, and this is what the researcher will explain in two chapters. The second topic: the compatibility of the texts of the two revelations with the correct mind and taking into account the circumstances.

Therefore, this research came to fill one of those loopholes, which is that "the law does not come with what the minds conspire, but it does come with what the minds confuse, and that the messengers do not inform of the impossibility of the minds, but rather of the constraints of the minds, so they do not tell what the mind knows to be absent, but rather they tell what the mind is incapable of about his knowledge", then facts that are necessary in the conclusion, asking the Lord Almighty for help and guidance, and guidance to the right words and guidance.

Keywords: Taking into Account the Case, Conciliation, Reason, Transportation, Faith.



المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستغفره ونستعين به ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بعثه الله رحمةً للعالمين هادياً ومبشراً ونذيراً، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة فجزاه الله خير ما جزى نبياً من أنبيائه، صلوات الله وسلامه عليه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين، وعلى صحابته وآل بيته، وعلى من أحبهم إلى يوم الدين.

أما بعد! فلا يشك أي مؤمن في تكامل الشريعة في كلياتها وجزئياتها، فقد جاءت بمراعاة مقتضى الحال في شتى أمور الدين.
فأولاً: مراعاة مقتضى الحال في القرآن الكريم.
وثانياً: مراعاة مقتضى الحال في السنة النبوية.

ومن ضمن تلك الدراسات في ذلك ما قام به يوسف بن محمد بن عبد الله العليوي بدراسة ٣٠٠ حديث نبوي شريف يتعلق بمراعاة مقتضى الحال^١.
إن الخطاب الديني يعنى عناية بالغة بالفرد والمجتمع على حد سواء؛ ويظهر ذلك جلياً في نصوص الوحيين من مراعاة لمقتضى الأحوال على النحو التالي:

- فرخصة العبادات ما هي إلا مراعاة لأحوالنا بالسفر أو بالحضر، والأمر بتوجيه الخطاب الديني بما يعقل المخاطب حتى لا يكذب الله عزوجل ورسوله صلى الله عليه وسلم ما هو إلا مراعاة لمقتضى حال عقولنا البشرية.
- وتشريع تعدد الزواج ما هو إلا مراعاة لمقتضى أحوال فطرتنا الإنسانية.
- ومشروعية جعل الطلاق بعصمة الرجل ما هي إلا مراعاة لأحوال المرأة العاطفية.

١ انظر: د. يوسف بن عبد الله بن محمد العليوي، رعاية حال المخاطب في أحاديث الصحيحين دراسة بلاغية تحليلية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٢٨-١٤٢٩هـ، ب.ط، م١، ص٢.

- ومشروعية جعل القوامة بيد الزوج ما هي إلا مراعاة لأحوال الرجل الجسمانيّة بما فضل الله به عن المرأة وبما أنفق.
 - ومشروعية تحريم الزواج بأكثر من أربع ما هو إلا مراعاة لمقتضى أحوالنا من عدم العدل والظلم وعدم مراعاة المساواة بين الزوجات.
 - ومشروعية هيئة صلاة الخوف ما هي إلا مراعاة لمقتضى حاله من حرب وقلق وعدم أمن.
 - ومشروعية الإيماء بالصلاة عند المرض ما هي إلا مراعاة حال مرضه من عجز وقصور عاقية.
 - وبشارة النبي صلى الله عليه وسلم للمسافر بأن سننه مكتوبة أجرها إذا كان يؤديها وقت الحضر ما هو إلا مراعاة لأحواله بالانشغال بالسفر وقضاء نهمة منه.
 - ومشروعية وجود محرم للمرأة حال السفر ما هو إلا مراعاة لأحوالها من ضعف وحمايتها من أطماع قطاع الطريق والمرضى قلوبهم.
- وما إلى ذلك من أحكام وشعائر يزخر بها الفقه الإسلامي لمن له أدنى نظرة فيه.



المبحث الأول

مفهوم مراعاة مقتضى الحال في اللغة والاصطلاح

بحول الله وقوته سوف يقوم الباحث بتقسيم المبحث الأول إلى مطلبين؛ فالمطلب الأول في مفهوم مراعاة مقتضى الحال في اللغة، والمطلب الثاني في مفهومها في الاصطلاح على النحو التالي:

المطلب الأول: مفهوم مراعاة مقتضى الحال في اللغة

١ - مراعاة

"مُرَاعَاةٌ: (اسم)، مصدر رَاعَى، مُرَاعَاةٌ: إِعْتِبَارٌ، أَيْ الإِحْتِرَامُ الْمَمْرُوجُ بِالإِعْتِبَارِ، مَعَ مُرَاعَاةِ الْحَيْثِيَّاتِ الْمَذْكُورَةِ: الأَخْذُ بِعَيْنِ الإِعْتِبَارِ، مُرَاعَاةٌ لِخَاطِرِهِ: اعتبَارًا لِرِضَاهِ، مَعَ مُرَاعَاةِ كَذَا: مَعَ العَمَلِ بِمُقْتَضَاهِ، مُرَاعَاةُ النَّظِيرِ: (بلاغة) جمع كلمات أو عبارات متناسبة، بحيث يُقَوَّى المعنى لكلِّ منها بمعاني الكلمات أو العبارات الأخرى، أو الجمع بين الشَّيْءِ وما يناسبه بغير تضاد، كالسوق والبيع والدَّلال، مُرَاعَاةٌ: يعني الالتزام بالمعايير المحاسبية المقبولة قبولاً عاماً. (مصطلحات مالية) المُرَاعَاةُ: بضم الميم مصدر راعى، ملاحظة الوضع في الاعتبار. (مصطلحات فقهية)، أَبْهَلَ الرَّاعِي رَعِيَّتَهُ: تركهم يفعلون ما يشاءون، لا يأخذ على أيديهم. رَعَى: (فعل) رَعَى رَعِيًّا، وَمَرَعَى ورعايةً رَعَتِ الماشيةُ: سَرَحَتْ بنفسها، رَعَى على فلان: رَعَى ماشيته، رَعَى الماشيةُ: جعلها ترعى، رَعَى الحيوان النبات: أكله رَعَى له عهدَه أو حُرْمَتَهُ: لاحظها وحَفِظَهَا، ارتعى: (فعل) ارتعى يرتعى، ارتع، ارتعاءً، فهو مُرتِعٌ، ارتعى فلانٌ: رَعَى الماشيةُ، أي جعلها تسرح وتأكُل في الكَلأ، مُرَاعَاةٌ: مصدر راعى

- مراعاةً لخاطره: اعتبارًا لرضاه، - مع مراعاة كذا: مع العمل بمقتضاه.
- مُرَاعَاةُ النَّظِيرِ: (بلاغة) جمع كلمات أو عبارات متناسبة، بحيث يُقَوَّى المعنى لكلِّ منها بمعاني الكلمات أو العبارات الأخرى، أو الجمع بين الشَّيْءِ وما يناسبه بغير تضاد، كالسوق والبيع والدَّلال^١.

١ المعاني، <<https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/>> آخر تعديل لهذه

٢ - مقتضى:

"مُقْتَضَى: (اسم): الجمع: مُقْتَضِيَات، اسم مفعول من اقتضى، مُقْتَضِيَاتُ الْعَمَلِ: مُنْتَطَلَبَاتُهُ، مطابقة الكلام لمقتضى الحال: (بلاغة): اعتناء الكاتب أو الخطيب بحال مَنْ يقرأ أو يستمع له إن كان من الخاصة أو العامة، بالإضافة إلى جودة اللفظ والموضوع، وبدونه لا يُعَدُّ الكاتب أو الخطيب بليغاً، مُقْتَضَى: (اسم)، مُقْتَضَى: اسم المفعول من إقْتَضَى، مقتضى العقد: المقتضى اسم مفعول من اقتضى يقتضي فهو مقتضى (اسم مفعول)، وهو مقتضى (اسم فاعل)، والمقتضى: المدلول عليه، فاقْتَضَى ذلك دل عليه وأرادَه؛ أيضا اقتضى ذلك سببه. (مصطلحات فقهية).

مقتضى النص: ما لا تدل عليه ألفاظ النص، ولكن لا يصح معنى النص إلا به، نحو {وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ} أي: وأسأل أهل القرية. (مصطلحات فقهية).
المقتضى: بضم الميم وسكون القاف والألف المقصورة في آخره اسم مفعول، المطلوب. (مصطلحات فقهية)!"^١.

٣ - الحال

"الحال: الحاضر، العاجل، ضد المؤجل. (مصطلحات فقهية). الحال: الزمن الذي أنت فيه، يقولون: ائنتني به في الحال: أي الآن. (مصطلحات فقهية).
الحال: جمع أحوال وأحواله، والحال تذكر وتؤنث، والمشهور تأنيثها، صفة الشيء وهيئته وكيفيةه. (مصطلحات فقهية). حال: (فعل) حُلْتُ، أَحُولُ، حُلٌّ، مصدر حَوْلٌ، حَوْلٌ، حَوْلٌ، حَيْلَوْلَةٌ، حال الحَوْلُ: مَضَى وَتَمَّ، حال العَهْدُ وَتَغَيَّرَتِ الْأَحْوَالُ: إِنْقَلَبَتْ، حال إلى مَسْكَنٍ آخَرَ: تَحَوَّلَ إِلَيْهِ، حال عَنِ الْعَهْدِ: زَالَ عَنْهُ، حَالَتِ النَّاقَةُ: ضَرَبَهَا الْفَحْلُ وَلَمْ تَحْمِلْ، حال بين الشَّيْئَيْنِ: حَجَزَ وَفَصَلَ بَيْنَهُمَا: والمراد أن الله يملك عليه قلبه فيصرفه كيف شاء، حال دون الشيء: منع حدوثه، حال عن الشيء: انقلب حال عن العهد، حال عليه حَوْلٌ: أتى عليه عام حال الزرع، حَالَتِ السَّنَةُ: مَرَّتْ، تَمَّتْ وَاِنْقَضَتْ، حال الشيء: تَغَيَّرَ وَتَحَوَّلَ سَبْحَانَ مَنْ لَا يَحُولُ وَلَا يَزُولُ، حال الحَوْلُ: تَمَّ، حَالَتِ النَّخْلَةُ: حَمَلَتْ عَاماً وَلَمْ تَحْمِلْ عَاماً،

١ مقتضى، <<https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/>> آخر تعديل لهذه

حَالَ فِي ظَهْرِ الْفَرَسِ أَوْ عَلَيْهِ: وَثَبَ عَلَيْهِ وَرَكِبَ، حَالَ الْقَضِيْبُ: إِعْوَجَّ، حَالَ
عَنْ ظَهْرِ الْفَرَسِ: سَقَطَ عَنْهُ، حَالَ الْمَاءِ: تَجَمَّعَ فِي بَطْنٍ وَادٍ. حَالَ: (فعل) حَالَهُ:
نَزَلَ مَعَهُ، حَوْلَانِ الْحَوْلِ: دَوْرَانِ الْعَامِ وَتَمَامِهِ. (مصطلحات فقهية) حَالٍ: (اسم)
حَالٍ: فاعل من حَلَى، حَالٌ: (اسم) حَالٌ: فاعل من حَلَّ، الحَالُ: الوقتُ الذي
أنت فيه، الحَالُ: الكسَاءُ يُحْتَشُّ فِيهِ، الحَالُ: اللَّبَنُ، حَالُ الدَّهْرِ: صَرْفُهُ، حَالُ
الشَّيْءِ: صِفَتُهُ، حَالُ الْإِنْسَانِ: مَا يَخْتَصُّ مِنْ أُمُورِهِ الْمُتَغَيِّرَةِ الْحَسِّيَّةِ وَالْمَعْنَوِيَّةِ،
الحَالُ: العَجَلَةُ يُعَلِّمُ عَلَيْهَا الصَّبِيَّ الْمَشِيَّ، الحَالُ (في الطبيعة): كَيْفِيَّةٌ سَرِيعَةٌ
الزَّوَالِ مِنْ نَحْوِ حَرَارَةٍ، وَبُرُودَةٍ، وَيُبُوسَةٍ، وَرُطُوبَةٍ عَارِضَةٍ، وَ(في علم النفس):
الهِئَةُ النَّفْسِيَّةُ أَوَّلُ حَدُوثِهَا قَبْلَ أَنْ تَرَسَّخَ، وَ(في النحو): الزَّمَانُ الْحَاضِرُ، الحَالُ
لَفْظٌ يَبِينُ الْهَيْئَةَ الَّتِي عَلَيْهَا الشَّيْءُ عِنْدَ مَلَابَسَةِ الْفِعْلِ لَهُ وَاقِعًا مِنْهُ أَوْ عَلَيْهِ.
وَ(في البلاغة): الأَمْرُ الدَّاعِي إِلَى إِيرَادِ الْكَلَامِ الْفَصِيحِ عَلَى كُلِّ وَجْهِ مَخْصُوصٍ
وَكَفِيَّةٍ مَعِينَةٍ^١.



١ الحال، <<https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/الحال>> آخر تعديل لهذه

المبحث الثاني

توافق نصوص الوحيين مع العقل الصحيح ومراعاتها لمقتضى الحال

في هذا المبحث يقوم الباحث مستعيناً بالله تعالى بإثبات أن نصوص الوحيين توافق في باطنها وظاهرها العقل الصحيح وهي جميعاً تنصب تحت مراعاة مقتضى أحوال المسلم، وذلك على النحو التالي:

أولاً: مكانة العقل في الإسلام

- قيام الدعوة إلى الإيمان على الإقناع العقلي: وتظهر سمات ذلك بأساليب شتى؛ مثل:
- الدعوة إلى التفكير والتدبر في كتابه ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩].
- وحين يصل القرآن بالعقل إلى هذه الدرجة فإنه لا يدعه هملاً؛ بل وجه طاقته إلى هدف آخر أوسع رُقعة وأعظم نتيجة؛ تلكم هي مراقبة الحياة الاجتماعية مراقبة إصلاح وتوجيه لما فيه فلاحها وسعادتها ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾، (آل عمران: ١٠٤).
- والقرآن حين يدعو إلى الإيمان يعنى على المقلدين الذين لا يعملون عقولهم، ويتبعون نظريات واهية وآراء زائفة، لا لشيء إلا لأنهم ألفوا آباءهم عليها ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا آفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَسْتَدُونَ﴾ (البقرة: ١٧٠).
- وكرمه ودعاه إلى العلم، وطلبه وقرن سبحانه ذكراً أولى العلم بذكره عز وجل وذكر ملائكته؛ ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، (آل عمران: ١٨).



١ سمير مثنى علي الأبارة، مكانة العقل ودوره في الإسلام، > ٢١_ftn/#مكانة-العقل-ودوره- في-الإسلام/0/100766/https://www.alukah.net/culture/
 < آخر تعديل لهذه الصفحة ٧-٨-١٤٤٤ هـ.

ثانياً: في درء تعارض العقل والنقل

وهو اسم كتاب ألفه ابن تيمية؛ "درء تعارض العقل والنقل أو «موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول» أو «الجمع بين العقل والنقل»: هو اسم كتاب يعدُّ من أنفس كتب ابن تيمية، كما صرح بذلك معظم الذين ترجموا له. وموضوعه: كما يدل عنوانه هو دفع التعارض الذي أقامه المتكلمون والفلاسفة بين العقل والنقل -أي الكتاب والسنة-، فيقرر ابن تيمية الأدلة السمعية، ويبرهن على إفادتها القطع واليقين، فيقول: «أما كتابنا هذا فهو في بيان انتفاء المعارض العقلي وإبطال قول من زعم تقديم الأدلة العقلية مطلقاً». فهذا الكتاب يبحث في علم الكلام والعقائد وتوحيد الله، وقد ألفه ابن تيمية لمناقشة الفلاسفة وأهل الكلام والرد على القانون الكلي لفخر الدين الرازي وما توصل إليه الرازي من تقديم العقل على النقل في حال تعارضهما¹.

فالقصور من تصور تعارض النصوص ليس بالنصوص الشرعية بل من قصور فكرنا وإدراكنا، ومما يدل على ذلك الإحصائيات التي دونها الطب الحديد فيما يثبت نصوص القرآن والسنة؛ ومن أمثلة ذلك ما يلي:

- قال البخاري: حدثنا خالد بن مخلد، حدثنا سليمان بن بلال قال: حدثني عقبة بن مسلم قال: أخبرني عبيد بن حنين قال: سمعت أبا هريرة -رضي الله عنه- يقول: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه ثم لبتعه، فإن في إحدى جناحيه داء، والأخرى شفاء»².

١ ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، > درء_تعارض_العقل_والنقل_(كتاب) // http://ar.wikipedia.org/wiki < آخر تعديل لهذه الصفحة ١١ يوليو ٢٠٢٢م.

٢ انظر: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، تحقيق: مصطفى ديب البغا، (بيروت: دار اليمامة، دار ابن كثير، ط٣، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م) ج٦، ص٤١٤، كتاب: بدء الخلق، باب: إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه فإن في إحدى جناحيه داء وفي الأخرى شفاء، رقم الحديث: ٣٣٢٠.

فقد توهم بعضهم تعارض هذا الحديث مع العقل ولكن الحقيقة عكس ذلك تماماً، فإن كثيراً من الناس يتوهمون أن هذا الحديث يخالف ما يقرره الأطباء وهو أن الذباب يحمل بأطرافه الجراثيم، فإذا وقع في الطعام أو في الشراب علقت به تلك الجراثيم، وقد قالوا إن الذباب يحمل البكتيريا والجراثيم كيف له أن يكون محمولاً بالدواء الذي هو شفاء للناس، وقالوا يستحيل ذلك عقلاً وبذلك جعلوا هذا الحديث مشكل عليهم، إذ ما توصلوا إليه أن الذباب والحشرات هي ناقلة للداء يستحيل أن يكون بها العافية والشفاء، وبينوا ذلك في المؤلفات ووسائل التواصل الاجتماعي الحديثة، مشككين الناس في دينهم، مفتريين على الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، جاحدين هذا الحديث الشريف، والباحث بعون الله سوف يبين ما أشكل عليهم وعلى عقولهم التي عارضوا بها النقل المطهر، كذلك قالوا كيف يكون الداء والدواء في شيء واحد.

وقد أثبتت الدراسات الحديثة وجود جراثيم على أحد جناحي الذبابة، ويكتريوفاج- قاتل للميكروبات- على الجناح الآخر، فإذا وقعت الذبابة في إناء فيه طعام أو شراب وجب أن تُغمس فيه؛ كي يقضي البكتريوفاج على الجراثيم التي في الجناح الآخر، ثم تخرج الذبابة من الإناء، وما تخلف إلا ميكروبات ميتة؛ ومن ثم لم تختلف معطيات العلم الحديث عما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم منذ أربعة عشر قرناً من أن عامل المرض وعامل الدواء محمولان على جناحي الذبابة: «فإن في إحدى جناحيه داء والأخرى شفاء».

لم يأمر النبي صلى الله عليه وسلم في حديثه الشريف أحداً بأن يأكل من الطعام الذي سقط فيه ذباب، فله أن يأكله، وله أن يتركه إذا عافته نفسه، ولا إثم عليه في ذلك ولا حرج؛ إذ إن الحديث لا يتعلق بأي أصل من أصول الدين^١.

١ خليل إبراهيم ملا خاطر، الإصابة في صحة حديث الذبابة، المدينة المنورة: دار القبلة للثقافة

الإسلامية، ط ١، د.ن، ص ٢٠.

أن الأئمة الأربعة مجمعون على الأخذ به، وإليك بيان ذلك:
أولاً: مذهب الإمام مالك:

قال الإمام مالك رحمه الله تعالى: كل ما وقع من خشاش الأرض في إناء فيه ماء أو في قدر، فإنه يتوضأ بالماء، ويؤكل ما في القدر، وخشاش الأرض هي: الزنبور والعقرب والصرار والخنفساء وبنات وردان وما أشبه هذا من الأشياء. ما قاله الإمام ابن عبد البر في الاستنكار: وقد يكون من الميتة ما ليس بنجس، وهو كل شيء ليس له دم سائل، مثل نبات وردان، والزنبور والعقرب، والجعلان والعقرب والصرار والخنفساء، وما أشبه ذلك.

ثانياً: مذهب الإمام الشافعي:

قال الإمام القفال الشافعي رحمه الله تعالى في حلية العلماء: وأسقط ما زاد على ذلك إذا مات ما ليس له نفس سائلة من: ذباب أو زنبور في ماء قليل أو طعام، لم ينجسه في أحد القولين وهو الأصح للناس.

ثالثاً: مذهب الأحناف :

قال الإمام علاء الدين السمرقندي رحمه الله تعالى في تحفة الفقهاء: أما إذا لم يكن له نفس سائلة فإنه لا ينجس بالموت، ولا ينجس ما يموت فيه من المائع، كيفما كان عندنا^١ أي عند الأحناف.

رابعاً: مذهب الحنابلة قال الإمام الخرقي رحمه الله تعالى: وإذا مات في الماء اليسير ما ليس له نفس سائلة، مثل: الذباب، والعقرب، والخنفساء، وما أشبه ذلك فلا ينجسه^١.

عدم التفريق بين المستحيل والمستغرب، فالمستحيل هو الذي يرفضه العقل ولا يقبل به، وبين المستغرب الذي هو ناشئ عن عدم قدرة العقل على تصوره، فمن المقرر في الإسلام أنه ليس فيه ما يرفضه العقل ويحكم باستحالته وذلك لأنه دين الفطرة، وأن النبي صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

١ المصدر السابق.

ولا جرم أن الوحي الصريح لا يناقض العقل الصحيح كما بين ذلك الأفاضل من علماء أهل الإسلام، إلا أن أهل الباطل في كل زمان يحولون بألسنتهم الكاذبة الحقائق إلى شبه تتخطف القلوب البعيدة عن الله وشرائعه، وما هو حديث الذبابة إلا مثلاً من الأمثلة الكثيرة الدالة على صدق نبوة المصطفى والنور المجتبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ما تعاقب الليل والنهار إلى يوم الدين. فلا يشك أي مؤمن أن الدين الإسلامي هو خاتم الأديان وعليه فإن القول بإشكالية حديث من أحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم لا يسبب رعباً له، ذلك أن الإيمان مستقر في قلبه، لا يزعزعه أي من الدعوات المشككة ولا الألسن المنافقة، فهو مطمئن لذلك أيما اطمئنان، وإن لاح له شيء من ذلك فإنه يرجعه إلى تصور عقله، وقلة حيلته، وعجز فهمه، مسلم بما جاء عن الله تعالى على رسول الله صلى الله عليه وسلم، موقن أن النقل الصريح لا يعارض العقل الصحيح كما قرر ذلك علماؤنا الجهابذة، فقد قام هؤلاء العلماء بحماية الشريعة عن كل ما قد يتطفل عليها متطفل ويلمزها به، لذلك قد ألفوا المؤلفات العديدة في حماية جناب الشرع، وهذا لا يخفى على من عنده أدنى إطلاع ونظرة في المكتبة الإسلامية.



الخاتمة

وسيقوم الباحث في نهاية هذا البحث بذكر جملة من النتائج والتوصيات على النحو التالي:

أولاً: النتائج

- أهمية بيان أن العقل الصحيح لا يعارض النص الصحيح للناشئة والجيل الجديد؛ إذ في انتشار الأفكار اللادينية هدم لعقيدة الإسلام المبنية على مراعاة مقتضى الحال في التوفيق بينهما.
- أهمية الجانب العقدي في تقويم سلوك المسلم إذ راعى أحواله كلها، في حال الحرب والسلام وشرع تشريعات لكلٍ منهما، وفي حال كون الإنسان متعلم وبين كونه أُمي؛ فراعى خطابه لكلٍ منهما، وبين مقتضى حالته في السفر والحضر، وأهمها حين راعى مقتضى حاله في موضوع العقيدة بين توافق العقل والنقل.
- مواكبة تطورات العلم الحديث والتكنولوجيا في ترسيخ العقائد الإسلامية، والتفرقة بين نصوص الوحي وأحوال الناس إذ وجه كل شخص حسب حاله وما ذاك إلا لكمال الدين الإسلامي بمراعاة طبائع الناس ومختلف مستوياتهم وأنواع شخصياتهم والجملة التي خلقوا عليها.
- وسائل التواصل الاجتماعي في الوقت المعاصر أصبحت ثغرات مهمة يجب عليها أن نسدها بمتسلحين بالعلم النافع في بيان كمال وتمام الشريعة في إبراز دور العقل ومكانة واتحاد وتعاضد النصوص الشرعية له في إثبات الحقائق وإبطال الخرافات وعدم تعارضهما البتة.
- اهتم نصوص الوحيين؛ الكتاب والسنة في موضوع مراعاة مقتضى الحال في مسائل العقيدة ومن أبرزها درء تعارض العقل والنقل.
- الخطاب الديني المبني على القاعدة العامة من أن العقل والنقل لا يتعارضان تكون آثاره أثبت يقيناً على الناشئة، وأرسخ اعتقاداً؛ مما يواجهون به الشبهات بكل يقين ورسوخ.

- الأحاديث الشريفة كانت خير مثال لمراعاة مقتضى الحال في توجيهاتها النبويّة، وكانت تختلف باختلاف حال الناس وطبائعهم.
- الأثر النفسي للمخاطب في مراعاتنا لمقتضى حاله يكون جلياً حينما يجتمع في دعوتنا سلاحي العقل والنقل، مما يساهم في دعوته مساهمة فعالة تكون آثارها واضحة في صلابة إيمانه وتركيبته.
- المشكلات المجتمعيّة يمكن حلها وتخفيف قدر كبير منها إذا راعينا مقتضى حال صاحب المشكلة، وتتنوعنا في الوسائل والأساليب في دعوته متمسكين بالجانب العقلي في إقناعه، بالإضافة إلى الجانب الشرعي النقلي من آيات من القرآن الكريم وأحاديث للسنة النبوية المطهرة.
- اهتمام الدعاة بهذا الموضوع يزيد من نقاط التلاقي بين الدعاة والمدعويين، ويقوي الروابط بينهما؛ لأنها تحاكي مقتضى حالهم فتزيد نسبة التفاهم والوئام والانسجام مما يكون أثره إيجابي لصالح الدعوة الإسلاميّة.
- اهتمام الدول بأصحاب الهمم بتوفير لهم سبل العيش الكريمة؛ يزيد من فرصة عطائهم ويجعل الباب لهم مفتوحاً في العطاء والنجاح والابتداع المهاري.



ثانياً: التوصيات

- ضرورة الترجمة والاستفادة من الدراسات الغربية الإسلاميّة فيما يخص ترسيخ مفهوم مراعاة مقتضى الحال في التوفيق بين العقل والنقل فيما يتعلق بعلم العقيدة؛ فقد أثبت الواقع أن هناك دراسات غربيّة إسلاميّة فائقة الدقة وكثيرة النفع وكثير منها غير مترجم إلى اللغة العربيّة.
- يوصي الباحث المجامع الفقهيّة الإسلاميّة بتأليف مؤلف أو نشر مطويات في بيان أن الشريعة الإسلاميّة ركزت على دور العقل وأكدت عليه؛ إذ هو موافق لما جاءت به النقول الصحيحة من الكتاب والسنة، وأيضاً راعت في كليهما مقتضى حال الشخص وفكره وتعليمه وتصوراته فلم تحمله فوق طاقته في التصور والإدراك العقدي والفكري.

- يوصي الباحث إخوانه من الطلاب والطالبات أن يتدارسوا الأبحاث المتعلقة بمراعاة مقتضى الحال غير الشرعية ليستفيدوا منها في الإرث الشرعي، كالدراسات المتعلقة بمراعاة مقتضى الحال في البلاغة ولا شك من باب أولى الدراسات الشرعية كمراعاة مقتضى الحال في الحديث الشريف.
- يوصي الباحث الحكومات الإسلامية أن توعي أفرادها بأهمية العناية بأصحاب الهمم وإرساء مفاهيم العقيدة الإسلامية على تلك التوجيهات.
- يوصي الباحث الأئمة والخطباء بضرورة الكلام عن حقوق وواجبات المسلم تجاه قضايا العقل والنقل فمن حقوق النقل التصديق بما جاء عن الله سبحانه وتعالى وعن رسوله صلى الله عليه وسلم. ومن حقوق العقل معرفة حدود وإعماله ضمن حدوده. والواجبات تجاههما أن يعرف المسلم أنها لا يتعارضان؛ ولا بد من مراعاة لمقتضى الحال حين طرح أفكارهما ومدلولاتهما.
- يوصي الباحث بأن يقوم عدد من الباحثين بصياغة أفكار ومفاهيم عقديّة إسلامية ضد التوجه لإلغاء بعض المفاهيم الشرعية بحجة أنها رجعية وتخالف العقل، وضرورة إثبات أن العقل والنقل يتماشيان في طريق واحد سوي.



المراجع والمصادر

- الكتب العربية
- سميرة عدلي محمد رزق، مراعاة مقتضى الحال مفهومه وزواياه في ضوء أسلوب القرآن الكريم، جامع الكتب الإسلامية، الرياض، ب.ط، م ١، ص ٢.
- أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية أن لا يفهموا، رقم الحديث: ١٢٧.
- عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ، درء تعارض العقل والنقل، ج ١، ص ٨٣.
- يوسف بن عبد الله بن محمد العليوي، رعاية حال المخاطب في أحاديث الصحيحين دراسة بلاغية تحليلية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٢٨-١٤٢٩هـ، ب.ط، م ١، ص ٢.
- الأمين، عبد الرحيم، الأسس العقدية والعملية للتسامح الديني في الإسلام، <الأسس-العقدية-والعملية-للتسامح-الدين
https://oa.org/revue/article/view/1666> شوهده في ٨ ديسمبر ٢٠٢٢م.
- خليل إبراهيم ملا خاطر، الإصابة في صحة حديث الذبابة، المدينة المنورة: دار القبلة للثقافة الإسلامية، ط ١، د.ن، ص ٢٠.
- الشبكة العنكبوتية
- المعاني، <مراعاة> /https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar> آخر تعديل لهذه الصفحة ٢٧ فبراير ٢٠٢٣م.
- مقتضى، <مقتضى> /https://www.almaany.com/ar/dict/ar-> آخر تعديل لهذه الصفحة ٢٧ فبراير ٢٠٢٣م.
- الحال، <الحال> /https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar> آخر تعديل لهذه الصفحة ٢٧ فبراير ٢٠٢٣م.
- سمير مثنى علي الأبارة، مكانة العقل ودوره في الإسلام، > #_ftn٢١/مكانة-العقل-ودوره-في-الإسلام >
/https://www.alukah.net/culture/١٠٠٧٦٦/٠ آخر تعديل لهذه الصفحة ٧-٨-١٤٤٤هـ.

- ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، < درء_تعارض_العقل_والنقل_(كتاب) // http://ar.wikipedia.org/wiki > آخر تعديل لهذه الصفحة ١١ يوليو ٢٠٢٢م.
- هديل طالب، أساليب الدعوة، < أساليب_الدعوة https://mawdoo.com/ > آخر تعديل لهذه الصفحة ٣٠ يونيو ٢٠٢٢م.
- ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، < وسائل_تواصل_اجتماعي/ http://ar.wikipedia.org/wiki > آخر تعديل لهذه الصفحة ٢٧ يناير ٢٠٢٣م.
- بلال عبد الرحمن إيداح، آثار العقيدة الصحيحة، < آثار_العقيدة_الصحيحة https://mawdoo.com/ > آخر تعديل لهذه الصفحة ٧ فبراير ٢٠٢٣م.
- يوسف العليوي، مراعاة مقتضى حال المخاطب، < مراعاة-مقتضى-حال-المخاطب https://ar.islamway.net/article/ > ١٨٦٤٣ / آخر تعديل لهذه الصفحة ٧ نوفمبر ٢٠١٣م.



References :

- al kutub al arabia
- smirat eadli muhamad rizqa, muraeat muqtadaa al hal mafhumuh wazawayah fi daw' 'uslub alquran alkarim, jamie al kutub al'iislamiati, alrayad, bi.t, mi1, si2.
- 'abu eabd allah muhamad bin 'iismaeil bin 'iibrahim bin almughayrat aljaefii albukharii, aljamie almusnad alsahih almukhtasar min 'umur rasul allah sly allh elyh wslm wasunanih wa'ayaamihu, bab man khasin bialeilm qawman dun qawm karahiat 'an la yafhamawa, raqm alhadithi: 127. eabd aleaziz bin eabd allah al alshaykha, dar' tuearid aleaql walnaqla, ja1, sa83.
- yusif bin eabd allah bin muhamad aleilaywi, rieayat hal almukhatab fi 'ahadith alsahihayn dirasat blaghyt tahliliatun, jamieat al'iimam muhamad bin sued al'iislamiati, alrayad, 1428-1429h, bi.t, mi1, sa2.
- al'amini, eabd alrahimi, al'usus aleaqadiat waleamaliat liltasamuh aldiynii fi al'iislami, >al'uss-aleaqadiati-waleamaliati-liltasamih-alidiyn
<https://fm6oa.org/revue/articl>shuhid> fi 8 disambir 2022m.
- khalil abrahim milana khatiru, al'iisabat fi sihat hadith aldhubabati, almadinat almunawarati: dar alqiblat lilthaqafat al'iislamiati, ta1, di.n, sa20.
- alshabakat aleankabutia
- almaeani, <mraeatun/
<<https://www.almaany.com/ar/dict/ar-arakhir> taedil
lihadhih alsafhat 27 fibrayir 2023m.

- muqtadaa, <muqtadaa/
<<https://www.almaany.com/ar/dict/ar-arakhir> taedil
lihadhih alsafhat 27 fibrayir 2023m.
- alhal, <alhal/ <<https://www.almaany.com/ar/dict/ar-arakhir>
taedil lihadhih alsafhat 27 fibrayir 2023m.
- smir muthanaa ealii al'abarati, makanat aleaql wadawruh fi
al'iislami, < 21ftn_#/mikanatu-aleaqla-wdurahi-fi-al'iislam
< <https://www.alukah.net/culture/0/100766/akhir> taedil
lihadhih alsafhat 7-8- 1444h.
- wikibidya, almawsueat alharati, <
dir'_taearidi_aleaqla_walnaqla_(ktabu)/http://
ar.wikipedia.org/wiki/< akhar taedil lihadhih alsafhat 11
yuliu 2022m.
- hadil taliba, 'asalib aldaewati, < 'asalibi_
aldaewatihttps://mawdoo 3.com/ <khar taedil lihadhih
alsafhat 30 yuniu 2022m.
- wikibidya, almawsueat alharati, <
wasayil_tawasli_ajtimaei/http:// ar.wikipedia.org/wiki/<
akhar taedil lihadhih alsafhat 27 yanayir 2023m.
- bilal eabd alrahman 'iibdah, athar aleaqidat alsahihati, <
athar_aleaqidati_alsahihatihttps://mawdoo3.com/ <khar
taedil lihadhih alsafhat 7 fibrayir 2023m.
- yusuf aleilywi, muraeat muqtadaa hal almukhataba, <
muraeatu-muqatidaa-hial-almukhatab
<<https://ar.islamway.net/article/18643/> akhar taedil
lihadhih alsafhat 7 nufimbir 2013m.